السنة الثامنة والستون وثلاث مئة

فيها في المحرَّم سار عضد الدولة خلف أبي تَغْلب بنفسه، فأجْفَلَ هارباً من بين يديه، وفارقه كثيرٌ من رجاله وقوَّاده، وعاد عضد الدولة إلى الموصل في صفر، وبعث وراءه الجُند، فأتى بَدْلِيس، فتبعوه، فدخل الروم، وكان عضد الدولة قد بعث إليه قائداً يقال له: طغان، فلحقه في مَضيقٍ من مَضائق الرُّوم، فعطف عليه أبو تَغْلِب، فضربه على رأسه ضَربةً بقي أثرُها إلى أن تُوفّي، وأسر جماعةً من أعيان قُوَّاد عضد الدولة وخواصّه، فضرب رقابَهم بين يديه صَبْراً، وعاد طغان إلى الموصل ومَن سَلِم منهم، ووصل أبو تغلب إلى حِصن زياد، وجاءت عساكر الرُّوم، فعاد أبو تغلب إلى آمِد، وأقام [بها] إلى أن فُتحت مَيَّافارِقين[1].

ذكر فتحها:

كان أبو الوفاء قد نازلها فلم يَقدر عليها، فمضى إلى أَرْزَن ففتحها، وعاد إلى مَيَّافارِقين وبها هزارمرد، فحاصرها بعد أن فتح حصون ديار ربيعة كلها، ولما عاد إلى ميافارقين أقام ثلاثة أشهر يضربها بالمَجانيق، ونزل البَليخ وهو صابر، ومات هزارمرد، فكتبوا إلى أبي تغلب يخبرونه، فأمر أن يُنصَبَ مكانه مؤنس غلام الحَمْدانية، وكان في البلد قاضٍ يقال له: أبو الحسن بن المبارك بن ميمون[2]، فاستولى على تدبير مؤنس، وحَفظ البلد وحَصَّنه، وقاتل قتالاً شديداً، فبعث إليه أبو الوفاء يَستميله ويَعِده، فلم يُجِبْه.

وكان في البلد شيخ يقال له: أبو الحسين أحمد بن عبيد الله الفارقي، فبعث إليه أبو الوفاء فاستمالَه، فأجابه، واجتذَب أهل البلد إليه، وعلم القاضي، فأراد الفَتْكَ به، فحماه أهلُ البلد.

فلما كان لليلتين خلتا من جُمادى الأولى ثار الفارقي ومعه أهل البلد، فلجأ مؤنس ومَن معه إلى منازلهم، وقبض الفارِقيّ على القاضي ومَن يَلوذُ به، وفيهم رجل يقال له:

---

(١) الكامل ٨/ ٦٩٣ وما بين معكوفين منه.

(٢) في الأعلاق الخطيرة ١/ ٣٢٢: أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك.

ابن الطَّبَرِيّ، فأرسل مؤنس إلى الفارقيّ يَطلب الأمان، فبعث إلى أبي الوفاء فأمّنه، وفتح النار في الباب، ودخل جيشُ أبي الوَفاء، وبعث أبو الوفاء بالقاضي وابن الطَّبري إلى عضد الدولة وكان بالموصل فصلبهما.

وأما أبو تغلب فلما علم بفتوح مَيَّافارِقين، وأن أبا الوفاء قد مَلَكها، علم أنه سيسير إليه، ولا يقدر على مُقاومته، فأنفَذ أخَواته مستأمناتٍ إلى أبي الوفاء سوى جَميلة، وتبيَّن أصحابُه خَوفَه وخَوَره، فالتاثوا عليه، وهرب إلى ناحية الرَّحْبَة ومعه أختُه جَميلة وحُرَمه، وتخلَّف عنه مَن كان معه من الأتراك والكُتَّاب، وقصدوا أبا الوفاء.

وجاء أبو الوفاء إلى آمِد، ففتحوا له أبوابَها، واستولى على ديار بَكْرٍ بأسرها، وعاد إلى الموصل ومعه الأسارى والمستأمِنَة بعد أن رتَّب في الحُصون مَن يَحفظها.

وأما أبو تغلب فإنه بعث أخاه أبا عبد الله الحسين من طريق الرَّحبة إلى عضد الدولة يسأله العَفو، والاستخدام على ما كان عليه، وأقام بالرحبة ينتظر الجواب، فاجتمع الحسين بعضد الدولة بالموصل، وعَرَّفه رسالةَ أخيه، فقال: أنا أعفو عنه، وأردُّ عليه بلادَه؛ على أنه يَصير إلى الحَضْرة، ويدخلَ في الطاعة، فعلم أبو عبد الله أن أخاه لا يُجيب إلى ذلك، فوطَّد له عند عضد الدولة حالاً أنه يعود إلى خِدمته إن لم يُجب أخوه إلى ذلك.

ومضى إلى أبي تغلب، وأعاد عليه الرسالة فلم يُجِب، وسار إلى الشام لاجئاً إلى أصحاب مصر، وسار معه أخوه أبو عبد الله، ثم فارقه من أَرَك قبل تَدْمُر بمرحلة، وسار يريد الفرات، فأرسل خلفه جماعة، فلم يظفروا به، ووصل إلى عضد الدولة سالماً في شهر رمضان، فأكرمه وأحسن إليه.

وبعث عضد الدولة إلى الرَّقَّة والرَّحْبَة وجميعَ حصون الجزيرة مَن تسلَّمها، وصارت في يده، وبعث إلى قِلاع أبي تغلب التي فيها أموالُه وذَخائرُه وجواهرُه وضياعاتُه وحُليُّ نِسائه وغير ذلك، وهذه القِلاعُ في جانب دجلة من الشرق على طريق الجَزيرة، وهي قلعة أَرْدُمُشْت، وقلعة الشّعباني، وقلعة هَرور، وقلعة ملاص وغيرها.

وكانت قلعة أردمشت مملوءة من أصناف الثياب والجواهر والحلي والمتاع والفُرُش وغيرها، فسَيَّر إليها عضد الدولة مَن افتتحها واحتوى على جميع ما فيها، وخرج بنفسه فأشرف عليها، ورتَّب فيها الوُلاةَ والمُتَصَرِّفين وفي جميع أعمال أبي تغلب.

وكان محمد بن ناصر الدولة مُعتقلاً في أرْدُمُشْت مُقيَّداً وله ثماني سنين، فأطلقه عضد الدولة، وأحسن إليه، وردَّ عليه ضِياعه، وهذا محمد كُنيته أبو الفوارس هو الذي اتَّهمه أبو تغلب لما سار لقتال حَمدان بالرَّحْبة.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر قصّته القاضي التَّنوخيّ فقال: كان أبو تغلب قد استوحش من أخيه محمد، فقبض عليه، وقَيَّده، وحَبسه في قلعة أردمشت، وجعله في مَطمورة، ووَكَّل بحفظ طعامه وشرابه عجوزاً كان يَثِقُ بها، وكانت ضابطة يقال لها: نازبانو، وأمرها أن لا يَصل إليه أحد، وأن تُخفيَ خبَرَه ومَوضعَه، ففعلت، وأقامت على ذلك ثماني سنين.

ثم إن أبا تغلب انحدر إلى بغداد مُعاوناً لعز الدولة على عضد الدولة، فكانت بينهم الوَقعة العظيمة بقصر الجَصّ؛ قُتل فيها بختيار، وانهزم أبو تغلب إلى الموصل، فخاف من تخليص أخيه محمد، فكتب إلى والي القلعة واسمُه طاشتم أن يُمكّن صالح بن بانويه الكردي من قتْلِ محمد، وكان صالح مُشاركاً لطاشتم في حفظ القلعة، وكتب إلى صالح بقتله، فجاء ليدخل عليه فقالت العجوز: لا سمع ولا طاعة، ولا أُمَكِّنك إلا بكتاب أبي تغلب فإنه سلَّمه إلي، وبيني وبينه علامة.

واتَّفق نزولُ عضدِ الدولة على الموصل، وهرب أبو تغلب من بين يديه، وبثَّ قوَّادَه في بلد الموصل، فجاء بعضُ قُوَّادِه فنازل تلك القلعة وفتحها، وبلغه خبر محمد، فأرسل إليه مَن يُحضره عنده، فبكى وأخذ يَتضرَّع يظنُّ أنه يُقتَل، فقالوا له: لا بأس عليك فأخوك قد هرب، ومَلَك عضد الدولة البلاد، فسجد شكراً لله تعالى، وأرادوا أخذ حديده فقال: لا أفعل حتى يَراني الملك، فحُمِل إلى الموصل، وأُدخل على عَضُد الدولة في تلك الحال، فرَقَّ له، وأمر بأخْذِ حديده، وخَلَع عليه الخِلَع السنيَّة، وأعطاه الخيل بمراكبِ الذَّهب والفضة، والبغال عليها الصَّناديق فيها الأموال العظيمة والثياب الفاخرة، وأقطعه إقطاعاً بثلاث مئة ألف درهم، وصار من خواصّه[1].

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٩، ومن أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها عاد عضد الدولة إلى بغداد لما قَرَّر أمورَ الموصل، وخرج الطَّائع للقائه من قُطْرَبُّل، فنُصِبت له القِباب، ودخلها في سَلْخ ذي القعدة، وأمر الطائع أن تُضْرَب على باب عضد الدولة الطُّبولُ والبُوقات في أوقات الصلوات الثلاث: المغرب والعشاء والفجر، وأن يُخْطَب له على المنابر بعد الخليفة، وهذان الأمران لم يكونا لغيره قبل.

ذكر حصول والدة عز الدولة وأخويه وولده المرزبان عند هفتكين:

قد ذكرنا حضورهم عنده، وأولاهم من الإحسان شيئاً عظيماً، واتَّفق أن العساكرَ المصريَّة قَصَدت الشام، وخرج هفتكين إلى لقائهم، فوصل الرَّمْلَة والتَقَوا، فاستأمن أبو كاليجار المرزبان إلى المصريين، واقتتلوا فانهزم هفتكين؛ لأن المصريين كانوا أكثر عدداً، وقُتل أبو طاهر بن مُعزِّ الدولة، واستأمن أبو إسحاق في آخر الأمر، وأَسَر المُفَرّج بن دَغْفَل الطَّائي الهفتكين وجماعةً من الترك، وحملهم إلى مصر، فأبقى عليهم العزيز، وأحسن إليهم، وأحسن إلى أبي إسحاق بن مُعزِّ الدولة، وأبي كاليجار المرزبان بن عزّ الدولة وأصحابهم، وأنزلهم، وأكرم مَثْواهم، وخَلُص الشام بأسره للعزيز، ما عدا حلب فإنها كانت بيد سعد الدولة بن سيف الدولة.

ذكر أخبار هفتكين إلى أن توفِّي وحقيقة شرح الجملة التي ذكرناها:

وقد ذكرنا حصولَه بدمشق، واستقرارَه فيها، وكان يُكاتب المعزَّ ويُطيعه، فلما مات المعز كاتبه العزيز، ووعده الاصطِناعَ ورفعَ المنزلة، والبقاءَ على ما هو عليه إن وَطِئ بساطَه، فكتب إليه: إن هذا البلد أخذتُه بسيفي، وما أَدينُ لأحدٍ فيه بطاعة.

فغاظ العزيزَ جوابُه، واستشار يعقوب ابن كِلَّس وزيرَه، فأشار عليه بأن يُجَهِّزَ القائدَ جوهراً في العساكر إلى الشام، وبلغ الهفتكين، فجمع وجوهَ الدَّماشِقَة وشيوخَها، وقال لهم: قد عرفتُم أنكم سألتموني أن أتولَّى أمرَكم، وما تصرَّفْتُ إلا على وَفْقِ مُرادِكم، وقد طلبني مَن لا طاقةَ لي به، وأنا داخلٌ بلادَ الرُّوم، وأُبَصِّره مكاناً أكون مُقيماً فيه؛ لئلا يَلْحَقَكم بسببي ضَررٌ ممَّن يَقصِدُني.

وكان الدِّمشقيُّون يَكرهون المغاربةَ لمخالفتهم إياهم في الاعتقاد، ولأجل ما عامَلَهم به أُمراؤهم وولاتُهم، فقالوا له: أقم ونفوسُنا وأموالُنا بين يديك، ونحن نَفديك بأنفسنا.

وسار جوهر في عسكرٍ كَثيفٍ بعد أن أخذ من العزيز أماناً لهفتكين، وخاتماً، ودستاً من ثيابه، وكتاباً إليه بالعفو عنه، فلما حصل جوهر بالرَّمْلَة كاتب الهفتكين بالرِّفْقِ والمُلاطَفة، ودعاه إلى السِّلْم والطَّاعة، ووعده أن يُبَلِّغَه ما يُريد، وأعلمه بما معه من الأمان، فأجابه بالجميل والشُّكرِ على ما بذله، وغالطه بأن أحال على أهل دمشق.

وسار جوهر وقَرُب من دمشق، فخرج إليه الهفتكين في أصحابه ومَن جمعه من العرب، وأقامت الحربُ بينهم شهرين، وقُتل من الفريقين عددٌ كثير، وظهر من شجاعة الهفتكين والغلمان الذين معه ما عَظُموا به في النُّفوس، وتَقَرَّرت لهم الهَيبةُ في القلوب، وأشار عليه أهلُ دمشقَ بمكاتبة الحسن بن أحمد القِرمطيّ، واستدعائه إلى الشام، وعرف جوهر خبره، فعلم أنه متى حَصل بين عدوَّين خِيفَ عليه، فرجع إلى طَبَرِيَّة.

ووصل القرمطي إلى هفتكين، واجتمعا، وتعاهدا على قتال جوهر، وسارا خلفه، فسار من طَبريَّة إلى الرَّمْلَة، فأقام بها، وبعث بأثقاله إلى عَسْقَلان، وكتب إلى العزيز يُعرِّفه الصورة، ويَستأذنه إن دَعَتْه الضَّرورةُ قَصْدَ عَسْقلان.

ووافى الهفتكين والقرمطي فنزلا على الرملة، ونازلا جوهراً، وكان معهما خمسون ألفاً من الفُرسان والرَّجَّالة، وكان القتال على نهر الطَّواحِين، بينه وبين الرملة ثلاثة فَراسِخ، ولا ماءَ لهم إلا منه، فقطعاه عن جوهر، فتَضرَّر عسكرُه، فسار إلى عَسْقلان في أول الليل، فوصل إليها في آخره، فدخل إليها، وأغلق أبوَابَها، وتَحصَّن بها.

وتبعه الهفتكين والقرمطي، وحاصراه فيها، وضاقت به الميرة، وغَلَت الأسعار، وكان الوقتُ شتاءً فلم يُمكن حَملُ الأقوات في البحر، واشتدَّ الحالُ بجوهر، وأكل أصحابُه الدَّوابّ والميتة، وكان يخرج فيقاتل، فإذا وَجَد فُرصةً من الهفتكين دعاه إلى الطاعة وأرغبه، فيسترجع الهفتكين شجاعته، ويَهمُّ أن يَقبلَ منه[1]، فيَثْنيه القرمطي، وكاتب الهفتكين رجلاً يقال له: ابن الخَمَّار، وكان يُخالف اعتقادَ المصريّين ويقول: هؤلاء كفَّار ويجبُ قتالُهم.

(١) في تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢: فيسترجعه الفتكين ويسترجله ويهم أن يقبل منه، وانظر الكامل ٨/ ٦٥٨.

واشتدَّ الأمرُ بجوهر، فاحتال في الخَلاص، فراسل هفتكين، وسألَه القُربَ منه، فأجابه، ووقفا على فَرسيهما سرًّا، وقال له جوهر: قد علمتَ ما يَجمعُني وإياك من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وهذه فتنةٌ قد طالت، وأُريقت فيها دِماءٌ، ونحن المؤاخذون بها عند الله، وقد دَعوتُك إلى الصُّلْحِ والمُوادَعة، وضَمِنْتُ لك ما أردْتَ فأَبيتَ، فقال: معي في الرَّأي القرمطي، وبيني وبينه أيمان، فقال: إذا كان الأمر كذا فأنا ألتَمِسُ منك أن تأذَنَ لي في الخروج من عَسْقلان إلى مصر بمن معي، ونَسير تحت ذِمامك، وسوف ترى ما أفعل، فقال: بشرط وهو أن أُعلِّق سيفي على باب عَسقلان ورُمْحَ القرمطي، وتخرج أنت وأصحابك من تحتهما، فقال جوهر: جزاك الله خيراً فقد تفضَّلْتَ وأحسَنْتَ، لَأَحْدِرَنَّه.

وعاد الهفتكين فأخبر القرمطي فقال: ما فعلت مصلحة! ارجعْ عن هذا فإنها خَديعة، ودعْهم يموتون جوعاً، أو تأخذهم بالسيف فإن جوهراً صاحب مَكرٍ وخَديعة، فقال: قد كان وحَلَفْتُ له وما أَغْدِر به.

وأصبح جوهر وأصحابه، فخرجوا من تحت سيف الهفتكين ورمح القرمطي، وسار إلى مصر، واجتمع جوهر بالعزيز، وشرح له الحال، فقال: ما الرَّأي؟ فقال: أن تَخرجَ بنفسك، وإلا فإنهم وارِدون على أثَري.

ففتح العزيز بيوتَ الأموال، وبرَز بالعساكر، واستصحب الذَّخائرَ وتوابيتَ آبائه، وسار جوهر على مُقدِّمته إلى الرَّمْلَة والهفتكين والقرمطي بها، فنزل العزيز وبينهما مقدار فَرسخ، والتقى الصَّفَّان والهفتكين يلعب بين الصفَّينِ بسلاحه، فقال العزيز لجوهر: أرني الهفتكين، فأراه إياه وعليه كَزاغَنْد أصفر[1]، وهو تارةً يضرب بالسيف، وتارةً باللتّ، وتارةً يطعن بالرُّمح، والناس يَتحامونه، فأَعجبَ العزيزَ ما رآه من فروسيته، فانفرد العزيز، وصعد على رابِيةٍ وعلى رأسه المِظَلَّة، وأرسل رِكابيًّا إلى الهفتكين وقال: قل له: أنا العزيز، وقد أزْعَجْتَني من سرير مُلكي، وأحْوَجْتَني إلى مُباشرة الحرب، وقد عفوتُ عنك، فاترُك ما أنت عليه ولك عليَّ عهدُ الله وميثاقُه أن أصطَنِعَك، وأجعلك اِسْفَهْسَلار عسكري، وأهَبُ لك الشَّامَ بأسرها.

(١) سترة مضرّبة محشوة متخذة من القطن أو الحرير تستخدم عوضاً من الدرع. تكملة المعاجم ٩/ ٧٧.

فجاء الرِّكابيّ إليه، وأدَّى الرِّسالة، فخرج من العَسْكر بحيث يراه الناس، وتَرجَّل، وقبَّل الأرضَ مراراً، ومَرَّغ خَدَّيه وقال: قل له: يا مولاي، لو تقدَّم هذا القول منك لسارعتُ إلى أمرك، فالآن ليس إلا ما ترى، فأبلغَه ذلك، فأعاد الركابيَّ إليه وقال: قل له: يَقرُبُ مني بحيث أراه ويراني، فإن استَحْقَقْتُ منه أن يَضربَ وَجهي بالسيف فلْيَفْعل، فقال: قل لمولاي: ما كنتُ ممَّن أُشاهدُ طَلْعَتَه وأنابذُه الحرب، وقد خرج الأمرُ عن يدي.

ثم حمل على مَيسرة العزيز فهزمها، فأرسل العزيز إلى الميمنة فأمرها بالحَمْلَة، وكان هو في القلب، وحمل وعلى رأسه المظلَّة، فانهزم الهفتكين والقرمطي، وقُتل من أصحابهما نحو عشرين ألفاً، وقال: مَن جاءني بالهفتكين أو القرمطي فله مئة ألف دينار.

وكان الهفتكين يميل إلى المُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائي، وكان أمْرَدَ وَضيءَ الوجه، فاتَّفق أنَّ الهفتكين لما انهزم قَصدَ ساحلَ البحر ومعه ثلاثة أنفس وقد أجْهَدَه العَطَش، فلقيه المفرِّج في سَريَّةٍ من الخيل، وسقاه ماءً، فقال له: احملني إلى أهلك، فجاء به إلى قرية يقال لها: لُبْنى، فأجلسه هناك، ووَكَل به جماعة، وجاء إلى العزيز فتوثَّق منه في المال، ثم أخبره أن الهفتكين قد حَصَل في يده، ومضى، وجاء به، فأمر العزيز بأن يُضْرَب له نوبة من مَضاربه الخاص، وفَرش فيها فُرشه، وأَحضر جميع ما يحتاج إليه، وأنزله في المضرب، ولم يَشكّ أنه مَقتولٌ، وأمر بأصحابه الأُسَراء فضُربت لهم المضارب، وحُملت إليهم فنون الفُرُش والأطعمة، وبعث له العزيز دَسْتاً من دُسوته، فقام وقَبَّل الأرض، وبكى، وعَفَّر خَدَّيه في التُّراب وقال: ما أستحقُّ إلا القتل، ولكن مولانا أبى إلا ما تقتضيه أعْرافُه الشَّريفة، ولم يَقْعُد في الدّست، وبعث له الخِلَع والثِّياب والتُّحَف مع الخدم، وأعلموه أن العزيزَ قد عَفى عنه.

فلما كان الليل جاء العزيزُ إلى مَضْرَبِه بنفسه، فقام وقبَّل الأرض، وحثا التُّرابَ على رأسه، وجعل يَبكي ويَنتَحِب، فقال له العزيز: ما نَقمتُ عليك إلا كوني دعوتُك إلى مُشاهدتي؛ لعلك أن تَستحي مني، فأبيتَ، والآن فقد عَفوتُ عما جرى، ورَضيتُ عنك، وسوف تَرى ما أفعلُ معك.

ثم نزّل أصحابَه على مَقاديرِهم، وأسنى أرزاقَهم، ورفَع منازلَهم، واستَحْجَبه العزيز، وجعله من خاصَّته، ثم بعث العزيز النُّجُب[١] بالكُتب، فلَحِقوا الحسنَ بنَ أحمد القِرمطي بطَبريَّة، فأعادوا عليه الرسائل، وأن العزيز قد عفا عما جرى، وسأله أن يَطأ البِساط فامتنع، وتقرَّر الحالُ على أنه يَدخل في طاعة العزيز، وأن يحمل إليه في كل سنة سبعون ألف دينار، فرضي، وعَجَّل له برِزقِ سنةٍ، فأخذه، وعاد إلى هَجَر.

ورجع العزيز إلى القاهرة، وأنزل الهفتكين في دار عظيمة، ونقل إليها الآلات والمال والتُّحَف، وسَلَّم إليه بابَه وحِجابتَه، وشرع الهفتكين في التكبُّر على وزير العزيز يعقوب، ولم يلتفت إليه، فدَسَّ إليه الوزير مَن سَقاه السمَّ فمات، فحزن عليه العزيز، واعتقل الوزير نَيِّفاً وأربعين يوماً، فأُنكرت الأموال فأَطْلَقَه[٢].

وفي رمضان ورد تابوتُ حَمدان بن ناصر الدولة إلى بغداد، فدُفِن في مقابر قريش، وُجد مقتولاً في بعض القِلاع [ولا يُعْرَف له قاتلٌ]. وحجَّ بالناس أبو عبد الله العَلَويّ.

وفيها توفي

أحمد بن جعفر

ابن حَمدان بن مالك بن شَبيب، أبو بكر، القَطِيعيّ، البغدادي.

ولد في المحرَّم سنة أربع وسبعين ومئتين.

كان عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل يأتي إلى منزل القَطِيعي وهو صغير، فيُقْعِده في حجره ويُسمعه، فتقول أُمُّه وهي بنت أخي أبي عبد الله الجَصَّاص: أبا عبد الرَّحمن إنه يؤلمك؟ يعني: قُعوده في حجرك، فيقول عبد الله: إني أُحبه.

وتوفي وقد جاوز التسعين، ودُفن قريباً من الإمام أحمد رحمه الله[٣].

---

(١) الإبل أو الخيل القوية السريعة الخفيفة المعدة للبريد.

(٢) انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣١ ـ ٣٧، والكامل ٨/ ٦٥٦ ـ ٦٦١، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٨ ـ ١٩٠. ومن قوله: ذكر حصول والدة عز الدولة عند هفتكين... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٨٢، والسير ١٦/ ٢١٠. ومن قوله: وحج بالناس أبو عبد الله العلوي... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل وفيها توفي

تميم بن مَعَدّ

ومَعَدّ هو المُعِزّ] خليفة مصر[١].

كان تميم أمْيَزَ أولاده، فاضِلاً، جَواداً، سَمْحاً، يقول الشِّعر.

[وجرت له قصةٌ عجيبة أنبأنا بها غيرُ واحدٍ عن عبد الوهَّاب بن المُبارك الأنماطيّ بإسناده إلى أبي علي] الحسن بن الأشكري المصري قال: كنتُ[٢] من جُلَساء الأمير تميم بن المعزّ، فبعث إلى بغداد، فاشتُرِيَت له جاريةٌ من أحسنِ النساء وأحذَقِهم بالغناء، فلمَّا وَصلت إليه دعا نُدماءه وأنا فيهم، فلما أكلْنا مُدَّت السِّتارة وهي خلفها، فأمرها بالغناء فغنَّت تقول: [من الكامل]

وبدا له من بعد ما انْدَمَلَ الهَوى ... بَرْقٌ تألَّقَ مَوْهِناً لمَعَانُه

يبدو كحاشية الرِّداءِ ودونَه ... صَعْبُ الذُّرى مُتَمَنِّعٌ أركانُه

فبَدا لِيَنْظُرَ كيف لاحَ فلم يُطِقْ ... نَظَراً إليه وصَدَّه سَجَّانُه[٣]

فالنَّارُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ضُلوعُه ... والماءُ ما سَمَحَتْ به أجْفانُهُ

فطَرِب تميم والجماعة، ثم أمرها بالغناء فغنَّت: [من البسيط]

أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قَمَراً ... بالكَرْخِ من فَلَك الأَزْرارِ مَطْلَعُه

[وفي رواية:

أشتاقه وبودِّي لو يُودِّعُني ... روحُ الحياةِ وأني لا أُوَدِّعُهُ]

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (خ ب): تميم بن المعز بن معد خليفة مصر. هذا وقد تبع المصنف جدَّه في ذكر تميم في وفيات هذه السنة، وتبع ابنُ تغري بردي المصنفَ، انظر المنتظم ١٤/ ٢٦٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٣، وذكر القاضي ابن خلكان في وفياته ١/ ٣٠٣، والذهبي في تاريخه ٨/ ٣٩٨، والمقريزي في المقفى ٢/ ٥٨٨ أن وفاته سنة (٣٧٤ هـ).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وجاء بدله في (خ ب): قال علي بن الحسن الأشكري المصري كنت، والخبر في جذوة المقتبس ٧١، والمنتظم ١٤/ ٢٦٢، والمقفى ٢/ ٥٩٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩.

(٣) في (خ ب): سبحانه، وفي (م م ا): أشجانه، والمثبت من (ف).

فاشتدَّ طَرَب تَميم، وأفرط جداً، وقال لها: تَمنَّي ما شئتِ فلك مُناك، فقالت: أتمنَّى عافيةَ الأمير وبَقاءه، فقال: والله لابدَّ أن تتمني، فقالت: على الوفاء أيها الأمير؟ قال: نعم، قالت: أتمنَّى أن أُغنِّي هذه النَّوبةَ ببغداد، فاسْتُنقع لونُ تميم وتغيَّر، وتكدَّر المجلس، وقام وقُمنا.

قال ابن الأشكري: فلَحِقَني بعضُ خَدَمه وقال: ارجع إلى الأمير فهو يَدعوك، فرَجَعْتُ إليه فقال: هل رأيتَ ما امتُحِنَّا به؟ قلتُ: نعم، قال: لابدَّ من الوَفاءِ لها، وما أَثِقُ في هذا بغيرك، فتأهَّبْ لتَحْمِلَها إلى بغداد، فإذا غَنَّتْ هناك فارجع بها، فقلت: سَمْعاً وطاعة.

فجَهَّزها في مَحْمِل ومعها جاريةٌ سوداء تَخدِمها، ومَضَينا إلى مكة، وقضينا حَجَّنا، وسِرْنا مع القافلة إلى بغداد، فلما نَزلْنا القادِسيَّةَ جاءت الجاريةُ السَّوداء فقالت: إنها تقولُ لك: أين نحن؟ قلت: بالقادسيَّة، فأخبَرَتْها، فلم ألبث أن سَمعتُها قد انْدَفَعَتْ تُغَنِّي هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

لـمـا وَرَدْنـا الـقـادِسِـيَّـةَ حـيـث مُـجْـتَـمَـعُ الـرِّفـاق
وشَـمـمْـتُ مـن أرضِ الـحـجـازِ نَـسـيـمَ أرواحِ الـعِـراق
أيـقَـنْـتُ لـي ولـمـن أُحِـبُّ بـجَـمْـعِ شَـمْـلٍ واتِّـفـاق
وضَـحِـكْـتُ مـن فَـرَحِ الـلِّـقـاءِ كـمـا بَـكَـيـتُ مـن الـفِـراق

فتصايَحَ الناسُ من كل مكان: بالله أَعيدي، فما سُمع لها كلمة، ونزلْنا قريةَ الياسِرِيَّة يَبات[1] الناس بها ويُصبحون فيَدْخلون بغداد، فلما كان وقت الصَّباح إذا بالسَّوداء قد أَتَتْني مَذْعورة، فقلت: ما الخبر؟ قالت: ذهبت سِتّي فلا أدري إلى أين، فلم أُحِسّ لها أثراً، فأقمتُ، وقَضيتُ حوائجي، ورجعتُ إليه فأخبرتُه الخبرَ، فعَظُم عليه، وما زال ذاكراً لها واجِماً عليها[2].

(١) في (خ): يبيت، والمثبت من (ب ف م م١)، وهما بمعنى.

(٢) بعدها في (ف): متأسفاً، وفي (م): حتى مات والله أعلم. والتراجم الثلاث الآتية ليست في (ف م م١).

الحسن بن عبد الله

ابن المَرْزُبان، أبو سعيد، السِّيرافي، القاضي، النَّحْوي.

كان أبوه مَجوسياً واسمه بَهْزاد، فسمَّاه أبو سعيد عبد الله.

سكن الحسن بغداد، ووَلِيَ القضاء بها، وكان مُفتنًّا في علوم القرآن، والنّحو، واللغة، والفقه، والفرائض، والكلام، والعَروض، والقوافي، والحساب، وسائر العلوم، وشرح كتاب سيبويه، وله التَّصانيف الحِسان.

وجمع بين هذه العلوم والزُّهدِ في الدنيا والوَرَع، فكان لا يخرج كلَّ يومٍ إلى مجلس القضاء والتدريس حتى يكتبَ عشرَ وَرَقات، يأخذ أُجرتها عشرة دراهم تكون قدْرَ مؤنته منها، وكان يكتب خطاً حَسناً يُضاهي به خطَّ ابنِ مُقْلَة، ثم يخرج إلى الناس.

وكان نَزِهاً عَفيفاً، وكانت وفاتُه في رجب عن أربع وثمانين سنة، ودُفنَ بمقابر الخَيْزُران قريباً من قبر أبي حنيفة، وهو ثقة[1].

عبد الله بن محمد بن وَرْقاء

أبو أحمد الشَّيباني.

من أهل البيوتات، وأسرته من أهل الثُّغور.

قال: أنشدنا ثعلب، أنشدنا ابنُ الأعرابي في صِفةِ النِّساء: [من الطويل]

هي الضِّلَعُ العَوْجاءُ أنَّى تُقيمُها ... ألا إنَّ تَقويمَ الضُّلوعِ انكِسارُها

أيَجْمَعْنَ ضَعْفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عَجيباً ضَعْفُها واقتِدارُها[2]

وكانت وفاتُه ببغداد في ذي الحجة وسنُّه تسعين سنة[3].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٦٤، ومعجم الأدباء ٨/ ١٤٥، والسير ١٦/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٤، والمنتظم ١٤/ ٢٦٦، وذم الهوى ١٧٣.

(٣) في (ب): في ذي الحجة عن تسعين سنة.

محمد بن محمد

ابن يعقوب، أبو الحُسين، النَّيسابوري.

من ولد الحجَّاج بن الجَرَّاح، قرأ القرآن، وسمع الكثير، وكان عبداً صالحاً، ثَبْتاً، حافظاً، ثقةً، صدوقاً، صنّف «العِلَل»، و «الشيوخ»، و «الأبواب».

وكانت وفاتُه في ذي الحجة عن ثلاث وثمانين سنة.

وكان نَسيبَ الحاكم أبي عبد الله، وأثنى عليه فقال: أبو الحسين الحجَّاجي، العبد الصالح، الصَّدوق، الثبت، كان من الصالحين المجتهدين في العبادة، صَحبتُه نيِّفاً وعشرين سنة ليلاً ونهاراً، ما علمتُ أن الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً، رحمة الله عليه[1].

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٣، وتاريخ دمشق ٦٤/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٩٥، والسير ١٦/ ٢٤٠.